سيف بن ذي يزن

كان النُّعْمانُ بْنُ المنذرِ مَلِكًا على الحِيرةِ (وهي قاعدة الملوكِ المناذرةِ)، وذاتَ يوم بينما كان يَتسامَرُ مع نُدَمائهِ، دخل عليه الحاجِبُ (بوابُ الملكِ) قائلا:

- يا مَوْلاي. إنَّ في البابِ شابًّا يَسْتأذِنُ الدُخولَ عليكَ ويريدُ أن يُحَدِّثَكَ في موضوعٍ هامٍّ.

فقال النُّعْمانُ وعلى وَجْهِهِ أَماراتُ (علامات) حُبِّ الاستطلاعِ:

- دَعْهُ يَدْخُل!

فدخلَ قاعةَ القصرِ فارسٌ أسمرُ تبدو عليه دلائلُ التَّعَبِ وقالَ:

- ألسلامُ عليك يا ملكَ العربِ.

فقال النعمانُ:

- وَمَنْ تكونُ يا أخا العربِ؟

فقال الفارسُ:- أنا سيفُ بْنُ ذي يَزِنَ.

فَتَهَلَّلَتْ أساريرُ النُّعمانِ (أي: ظهرَ السرورُ على وَجْهِهِ) وقالَ:

- مَرْحَبًا بالفارسِ الأسمرِ! أهلا وسهلا بك يا حفيدَ مُلوكِ اليَمَنِ! ما الخبرُ؟

فقال سيفٌ: ألنجدةَ يا ملكَ العربِ! لقد غزا الأحباشُ بلادَنا (إشارة: عام الفيل. وهو عام ولادة الرسول) وأذاقوا قَوْمِي الذلَّ والهَوانَ، وليس لنا مِن نَصيرٍ إلا أنتَ!

فَأَطْرَقَ النعمانُ مُفَكِّرًا ثُمَّ قالَ:

- أَبْشِرْ يا أخا العَرَبِ وَكُنْ مُطْمَئِنًا. إنَّ لي حليفًا قويًّا هو كِسْرَى ملكُ الفُرْسِ، وسأطلبُ منه المساعدةَ للوقوفِ إلى جانبِكم ومُناصَرَتِكم.

ورافقَ سيفُ بْنُ ذي يَزِنَ النعمانَ في رحلتِهِ السَّنَوِيةِ إلى بلادِ الفُرْسِ. وقفَ سيفٌ بين يَدَيْ كِسْرَى مَلِكِ الفُرْسِ وشرحَ أمرَهُ قائلًا:

- يا مَوْلايَ! لقد غزا الأحباشُ بلادَنا ونحن أقربُ إليكم مِنَ الأحباشِ، ونطلبُ منكم أن تساعدونا لِطَرْدِهم مِن بلادِنا.

فأجابه كِسْرَى:

- كُنَّا نَوَدُّ أن نساعدَكم غيرَ أَنَّ بلادَكم بعيدةٌ عن بلادِنا، ولن أُوَرِّطَ جيشًا فارسيًّا في أرضٍ عربيةٍ بعيدةٍ. ثُمَّ إن الأحباشَ لا يُشَكِّلون خطرًا على بلادِنا. فظهرتْ على وَجْهِ سيفٍ أَمارَاتُ خَيْبَةِ الأملِ! غَيْرَ أن كِسرى لم يَرْغَبْ أن يَرُدَّ سيفًا خائبًا، وحتى يُخَفِّفَ مِنْ إحساسِهِ بِخَيْبَةِ الأملِ، أمرَ حارسَ الخزينةِ أن يُعْطِيَهُ عَشَرَةَ آلافِ دِرْهَمٍ (الدراهم: نقود من الفِضَّة). ولَمَّا خرج سيفٌ من بابِ كِسرى نثرَ الدراهمَ بين الصِّبْيَانِ والعبيدِ ولم يُبْقِ معه دِرهمًا واحدًا، وحين هَمَّ بِٱمْتِطاءِ فَرَسِهِ عائدًا إلى بلادِهِ، استدعاه كِسرى وسألَهُ مستغربًا:

- لِمَ صَنَعْتَ هذا بجائزةِ الملكِ؟

فقال سيفٌ برأسٍ مرفوعٍ:

- ما قيمةُ المالِ إذا ضاعتْ حُرِّيَّةُ الإنسانِ وكَرامَتُهُ؟ لقد جِئْتُكَ لِتُساعدَني في طَرْدِ الغُزاةِ عن بِلادي وَإعادةِ الحُريةِ السليبةِ، وَلَمْ آتِكَ

مِنْ أجلِ المالِ.

أما كِسْرَى، فقد تَرَدَّدَ قليلًا ثُم قالَ:

- سَأَنْظرُ في أَمْرِكَ ثانيةً.

وهنا عادتْ مَشَاعِرُ الأَمَلِ إلى قَلْبِ سيفٍ وَٱسْتَبْشَرَ خيرًا.

جمعَ كِسرى مُساعِديهِ وَمُسْتَشَاريه، فَأَشاروا عليه أن يُطْلِقَ سَراحَ جميعِ السُّجَناءِ في المملكةِ، وَيَأمرَهم بالانضمامِ إلى سيفٍ، فإن قُتِلُوا في المعركةِ استراحَ كسرى منهم، وَإِن ظَفِرُوا (انتصروا) كان ذلك النصرُ شَرَفًا لِكِسْرَى وَلِلْفُرس.

جَهَّزَ كِسْرى السُّجَناءَ بالسلاحِ، ثم حُمِلُوا إلى ساحلِ عَدَن (مدينة في اليمن) وهناك جمعَ سيفُ مَنِ استطاعَ مِنْ أهلِ بلادِهِ وانطلقوا نحو الأحباشِ، فَشَنُّوا عليهم معركةً عنيفةً، ودَحَرُوهم (هزموهم) وطردوهم مِنَ اليَمَن.

وأصبح أهلُ اليمن يَعْتَزُّون بسيفِ بْنِ ذي يَزِنَ الذي طردَ الغُزاةَ وأعاد للبلادِ حُرِّيَتَها وكرامتَها .

غير أن قائدَ الفرس وهرزَ، عندما اقتربَ مِنْ صَنْعاءَ (مدينة في اليمن)، أمر بهدمِ بوابةِ المدينةِ، وقال:- لا تَدْخُل رايتي مُنَكَّسةً! فهُدِمَت بوابةُ المدينةِ ودخلَها وهرزُ وَرَايَتُهُ مرفوعةٌ. وبقي الفرسُ في اليمن.

فقال سيفٌ والألمُ يَعْتَصِرُ قَلْبَهُ:- لقد ضاعَ مُلْكُنا إلى أبدِ الدهرِ وَلَنْ يَرْجِعَ إلينا أبدًا.

وَظَلَّ الفرسُ في اليمنِ حَتَّى مَجيءِ الإسلام.